المشرق

خواطر واحلام في راس العام

للاديب فريد مراد احد تلامذة كلينا

عند ساحل بحر الحياة امام مدخل الابديّة وقف العامُ الماضي ورفقة الحزين اليائس فألقى على العالم نظرة الوداع ثم تنهّد تنهُّدات عميقة صدرت من اعماق قلبهِ وسار راكضاً على طريق اسلافهِ فلم تزل حيناً نسمع وقع خطواته ونلحظ شبح خيالهِ حتى غاص في لجّة الظلام وغاب في سواد الابدية

ذلك عام من العمر قد انقضى فابقى في القلوب حسرةً لآثمٍ حملها لمام الديّان وافراحٍ سلبها ومصائبَ انزلها وحياةٍ قرّب بها من ساعة الموت ووهدة القبر !

مضى العام واحسرتاه فكم اضعنا سدًى من اوقاته الثمينة ولم نُنفقها في سبيل خيرنا الآتي. مضى العام وكذلك تمضي الحياة ونحن لا ندري ومنجلُ الموت يحصد الاعمار ونحن عنه غافلون :

تمضي السنون وتنقضي الايام تفنى الحياة وتُسلَبُ الاعوامُ
وتزول ايام الشباب وبهجةُ العيش الرغيد كما اعتلاه ظلامُ
يا غافلاً قد كاد حبلك ينقضي فضياع عمرك في الحياة حرامُ
إغنم وجودَ الوقت قبل فراقهِ وحذار في يوم الحساب تلامُ

وثقبتُ صباح اليوم قرب نافذتي فطرقت مسمعي نغماتُ الاجراس ترنُّ في الفضاء الهادي تدعو المؤمنين الى الصلاة فخُيّل لي ان ألحانها الشجيّة تخترق الفضاء وتتصاعد الى السماء فتمتزج بهبوات البخور وذبائح التقدمة ودعاء المؤمنين وصلوات الكهنة فما اجملها محرقةً ترفعها الخليقة الى عرش خالقها

رأيتُ الشوارع غاصّة بالجماهير العديدة. فهنا صديق يصافح صديقهُ وهناك رفيق

يعانق رفيقهُ وعلى وجوه الجميع لوائح البشر والسرور وعلى السنتهم تتردد كلمات الدعاء : « كل عام وانتم بخير . لا زلتم لسنين عديدة وايام مديدة » لعمري لو افتكر الناس بما يقولون لكفُّوا عن الدعاء . وهيهات ان تجدي الادعية نفعاً والايام معدودة والدقائق محدودة والدهر لا يسمع ولا يشفق

لا شيء كالدهر لا يصغي الى احد اصمُّ اخرس قاسي القلب كالحجرِ

رأيت الاحداث يسيرون الى الكنيسة وعليهم افخر الثياب وبايديهم الشموع ووجوههم تطفح بشراً وقد ظهر على ثغورهم صفاء قلوبهم النقية البيضاء . فاخذ المشهد بمجامع قلبي وعادت الى ذاكرتي أيام حداثتي المنيفة حيث كنت اقاسم الاحداث افراح العيد واجثو امام مغارة الطفل الاله فانثر للمولود الزهور والرياحين واضفر الاكاليل لهامته الجليلة

أثَّرت تلك الخواطر في مخيلتي كل التأثير فغصتُ في بحار الاحلام وطارت نفسي مرفرفة في سماء الماضي فرأيت اشباحاً من مضوا بارزةً امام عيني تحيي ذكر الايام الماضية . رايت وجوهاً كنت اعرفها بالامس واليوم قد تحولت الى تراب . رأيت اشخاصاً احببتهم كالحياة وقد اختطفتهم من يجواري المتون فتشاكينا لوعة الفراق وألم البعاد . رايت اطفالاً قطف الموت زهرة حياتهم قبل ان يبلغوا ربيع الحياة . وشباناً هصر الموت غصن أيامهم قبل الاوان . وشيوخاً حلُّوا في عالم الارواح . رأيت آمالاً خيبها الدهر ورغائب افنتها الايام . رايت العالم يجدّ ويبلى والناس بين فرح وحزن . وسعادة وشقاء . ويأس ورجاء . وموت وحياة . رايت فقيراً رفعهُ الزمان وغنياً حطَّ به الدهر . رأيت العالي قد هبط الى الحضيض والخامل وقد ارتفع الى درجات العزّ والسعادة . رايت اماً تسير في عماد ابنها وارملةً تعزل وراء نعشهِ . رايت الناس يستقبلون ويودّعون . ويولدون ويموتون . يجمعون ثم يتركون . والموت ختم الاناء . رايت الحياة باجلى مناظرها . رايت كل ذلك فلم اتمالك من الدهشة وتأججت نيران الحزن بقلبي فانشدت :

هذه حياة المرء ما اشتاقهُ يمضي فيصدع قلبنا ذكراهُ
أسفي على زمن يزول وينقضي وقسوه بعد جميلها عتباهُ
ويمرُّ بنا نحو الممات وكلنا لاهون نقضي عمرنا بجواهُ
يا دهرُ رفقاً بالشباب فلا تكن سلب الفؤاد فان فيك بلاهُ

فانتهر في الدهر وقال : سرْ أيها البائس المغرور فلا يخدعنك كلامك نفساً سرْ فالوقت لا ينتظرك ولا يرحمك وكفاك التعلّق بالدنيا فهي دار الشقاء والهموم . أسرع الى إعداد الزاد . ليوم المعاد . فقد آن زمن ارتحالك . وأفق من غفلتك والّا فاتت مآلك . ثم انشد :

سرْ في طريقك يا جهولُ ولا ترد ... شقفاً بنيّ علقمٌ اعلاهُ
قدّم لربّك عن ذنوبك توبةً ... واصنع جميلاً صالحاً يرضاهُ
يا أيها الساهي انتبه من غفلةٍ ... فغداً حسابُك كيف لا تخشاهُ
قد مرّ عامٌ دون ان تدري به ... هيهات يا مغرورُ ان تلقاهُ

وقد اعجبني ما كتبهُ في هذا المعنى احد افاضل اساتذتنا الكرام (م.غ) حيث قال:

قد انتهى من حياتي ... عامٌ وما عاد ياتي
مضى إلى حيثُ يلقى ... أعوامي الماضياتِ
بكيتُهُ حينَ وَلّى ... بأسخنِ العبراتِ
وقلتُ يا عامُ مهلاً ... أودِعْكَ من حسراتي
هفوتُ فيكَ كثيراً ... وتهتُ عن واجباتي
فاصفحْ أيا عامُ واغسلْ ... بدمعي هفواتي
أجابني وهو يعدو ... بثِقْ بربِّ السماءِ
أمضي أنا فيوافي ... عامٌ وها هُوَ آتِ
فانشطْ وسرْ فيهِ سيراً ... يُنجيك قبلَ الفواتِ
جاهدْ فما العمرُ إلّا ... كالظلِّ في ذي الحياةِ
من رامَ موتاً سعيداً ... فليحذرِ الغفلاتِ
ثمّ اختفى مثلَ برقٍ ... وغاصَ في الظُلماتِ
ما غابَ حتى تجلّى ... عامٌ بهي الصفاتِ
نادى وقالَ تعالَوا ... يا خلقُ للصلواتِ
اللهُ ربّي حباكم ... من الزمانِ هباتِ
عامٌ جديدٌ أتاكم ... باليُمن والبركاتِ

عامٌ ستلتَمُّ فيهِ من خالقِ الكائناتِ
فضلًا إذا صُنتموهُ بأشرفِ العاطفاتِ
يُنيلكمُ ما أتاكمْ من سابقِ النكباتِ

...

ربَّاهُ حقِّقْ رجانا واكشفْ دُجى النائباتِ
لبنانُ يا ربُّ أضحى بفضلِ اهلِ الثقاتِ
في روضةِ السِّلمِ حصنًا لمنتدى المكرماتِ
يا عامُ يا عامُ حقِّقْ آمالنا الزهراتِ
واجعلْ جميعَ البرايا يرونَ قصرَ الحياةِ
حتَّى يسيروا جميعًا في جادةِ الصالحاتِ
ويثبتوا كلَّ حينٍ في أهبةِ للممَاتِ

ذكرى ميلاد الرب

بقلم حضرة الخوري هارون نعمن استاذ الخطابة في كليتنا

اقطري ايتها السماوات من فوق ولتُمطر الغيومُ الصدّيق . لتنفتح الارضُ ولتنبتِ الخلاصَ ولتُنبت البرَّ (اشعيا ٤٥ : ٨)

أجنَّةَ عدنٍ أينَ أرجاؤكِ الخُضرُ فلا ثمرٌ يُجنى ولا ورَقٌ نَضرُ
كأنَّكِ لم تُروَيْ بفيّاضِ أنهرٍ ولا انهلَّ في مغناكِ غيثٌ ولا قطرُ
أجيلُ حزينَ الطرفِ فيكِ فلا أرى حياةً فلا عُشبٌ هناكَ ولا زهرُ
أما كنتِ للجدَّينِ أبدعَ روضةٍ يقصّرُ في مضمارِ أوصافِها الشعرُ
فأينَ هما باللهِ يا عدنُ إنَّ في غيابهما سرًّا يُحارُ بهِ الفكرُ
أجابَ لسانُ الحالِ منها وقال لي ألا لا تذكِّريني فما عادَ لي ذِكرُ